# الفصل الثاني

# سيكولوجيَّة الطفل الموهوب

يتمني الآباء والأمهات لو أنَّ ابنهما أو ابنتهما كان من الأطفال الموهوبين، و لاشك أنَّ الطفل الموهوب هو أثمن عطية يمكن أن يمنحها الخالق عز وجلّ للآباء والأمهات؛ فالطفل الموهوب طفل مرح تستشعر السَّعادة وأنت بالقرب منه، كما تجد المتعة في مراقبة حركاته وفي الاستماع إلي أسئلته، وملاحظة لمعان فكرة وسرعة بديهته وهو يتعامل ويتصرَّف في شتي الأمور.

علي أنَّ الأطفال الموهوبين شأنهم شأن غيرهم من الأطفال قد يصبحون نكبة علي أنفسهم وعلي ذويهم إذا ما أُسيئ توجيههم ولم يتفهم القائمون علي أمرهم مراميهم ومقاصدهم. ولكن هؤلاء الأطفال في الأحوال العادية، وفي ظل التوجيه السليم يستجيبون للاستجابات السَّويَّة ويبدون ما يُبديه غيرهم من أطفالٍ عاديين من صداقةٍ وألفةٍ وودٍ.

ومن الملاحظ أنَّ هؤلاء الأطفال الموهوبين يتحدَّثون عن اهتماماتهم وميولهم وأنشطتهم ومطامحهم بكثرةٍ، علي مستوي الكبار، وأكثر من هذا فإنَّهم ينصتون إلي الآباء والمُعلِّمين بحماسٍ عندما يقومون بمناقشة أمورهم الخاصَّة إذا ما تحروا الصدق فيما يقولونه والتزموا الجد في أحاديثهم، ومن المدهش أنَّ الأطفال الموهوبين يكونون في هذا المجال ناضجين بدرجةٍ تستدعي الانتباه وتُثير العجب فهم يتعلَّقون بمَنْ يستحقون

التقدير من البالغين ويكافئونهم بالإصغاء إليهم وفهم مراميهم واهتماماتهم.

وإذا ما كان الآباء أو المُعلِّمون غير مخلصين وغير صرحاء معهم، فإنَّهم سرعان ما يقفون علي ما في صدورهم من عدم الإخلاص بالرغم من عدم تعبيرهم عن ذلك في غالبية الأحيان؛ فالطفل الموهوب يقوم بعملية تقويم مستمر لَمَنْ يحيطون به من الكبار، وكُلَّما أخذ ذلك الطفل في النموّ ازدادت قدرته علي الاضطلاع بالتقدير الدقيق للنَّاس وبالتفكير النقدي للمواقف، وهو عندما يتقبَّل رأياً، وعندما يقدر شخصاً، فإنَّه يتقبَّله ويقدره بغبطةٍ وارتياحٍ.

ولكن لابدّ أن نضع في اعتبارنا أنَّ الأطفال الموهوبين هم أطفال قبل كُلّ شيء آخر، فهم إذاً في حاجة إلي حُبّ الآخرين لهم وحمايتهم ومرافقتهم وإبداء الرضي لهم، كما أنَّهم في حاجةٍ إلي توافر الباعث الذي يدفعهم إلي العمل، وإلي مجابهة بعض المصاعب التي تتحدي أذهانهم، وإلي فرص يمتحنون في ضوئها قوتهم ويُعبِّرون من خلالها عن أفكارهم ومشاعرهم،كما أنَّهم يحتاجون إلي توجيه وتقدير، وإلي كُلِّ العوامل التي تدفع إلي نموَّهم بنجاحٍ كسائر الأطفال.

والواقع فإنَّ الوالدين الذين يتمكنان من توفير جوّ عائلي سليم لأطفالهم يوفران في الغالب تلك الشروط اللاَّزمة لنموٍّ الطفل الموهوب علي نحوٍ مرضٍ.

وكذلك إذا تهيأت الفرصة للصِّغار الذين من اتجاهات واحدة، وقدرات واحدة، واهتمامات واحدة للاتصال بعضهم ببعض، فإنَّهم يكونون سُعداء، نشطين، ومتوافقين بوجهٍ عام.

وعندما تتسع دائرة الطفل الموهوب وتتعقَّد العلاقات الاجتماعيَّة به بتعقُّد المجتمعات التي يتصل بها، فإنَّ مدي قدرته علي الوقوف علي أصدقاء له في القدرة العقليَّة تصبح مشكلة علي جانب كبير من الصعوبة، ذلك لأنَّ أنشطة الآخرين من الأطفال تبدو علي نحوٍ لا يرضيه، كما أنَّها لا تكون علي نفس مستواه العقلي، الأمر الذي لا يعمل علي إشباعه وتحقيق التوافق السَّوي.

وممَّا يُزيد المشكلة تعقيداً أنَّ المدرسة قد لا تأخذ في اعتبارها ــ عادةً ــ عند تقرير مناهجها إلاَّ الطفل المتوسط أو فوق المتوسط. أمَّا الطفل الموهوب فإنَّه لا يخطر علي بال واضعي مناهج المدارس العادية، إذاً فليس من المستغرب أن نُشاهد بعض الاضطرابات في طريقه توافق الموهوب في الحياة المدرسيَّة التي تُحيط به، وعدم اكتراثه بشكلٍ واضح بما يشيع

بهـا مـن أنشـطةٍ وبالتالـي فإنَّنـا نجـد الطفـل الموهـوب قـد يجلـب بعـض المتاعـب في كثيـرٍ مـن الأحيـان لا لأنَّـه شـخص يهـوي جلـب المتاعـب، بـل لأنَّ القائمـين علـي أمـره لـم يهيئـوا لـه الظـروف المناسـبة لإشـباع حاجاتـه العقليَّـة، ولـم يخططـوا لـه برنامجـاً مناسـباً لكفايتـه.

وكان مـن الواجـب والضـروري أن تؤخـذ « الفـروق الفرديـة » Individual differences بـين القـدرات العقليَّـة في الاعتبـار شـأنها شـأن الفـروق الجسـميَّة أو غيرهـا مـن الفـروق.

ومـن جهـةٍ أُخـري فـإنَّ المجتمـع في حاجـةٍ دائمـةٍ إلـي رعايـة أصحـاب المواهـب الذيـن سـوف يصبحـون علمـاءً وأدبـاءً وزعمـاءً وروَّاداً في المسـتقبل، فـإذا لـم نقـم برعايتهـم خيـر رعايـة ونُهيـئ الجـوّ المناسـب لظهـور مواهبهـم، فـإنَّ الخسـارة سـوف تقـع لا محالـة علـي كاهـل المجتمـع نفسـه؛ وبالتالـي تضيـع فرصـة ارتقـاء الأمـة في الأجيـال القادمـة، وهـو مـا يجـب أن نسـعى إليـه في تربيـة الجيـل الجديـد، فليسـت التربيَّـة الحقيقيـة الجديـرة بالتقديـر هـي تلـك التربيَّـة التـي تأخـذ في اعتبارهـا الجيـل الناشـئ فقـط، بـل إنَّهـا أيضـاً التربيَّـة التـي تتطلَّـع إلـي المسـتقبل البعيـد حيـث تقبـع الإنسـانيَّة في الأجيـال القادمـة.

علـي أنَّ التربيـة المناسـبة للموهوبـين لا تتأتـي بالصدفـة، بـل إن التربيَّـة لا تقـوم إلاَّ علـي دعائـم متينـة مـن التخطيـط الدقيـق المسـتنير، إذاً فليسـت تربيـة الموهوبـين مـن أجـل الموهوبـين أنفسـهم فحسـب، بـل لأجـل الأجيـال المقبلـة في نفـس الوقـت.

● **ماذا يعني مصطلح «الموهوبية» Giftedness ؟**

وبمـا أنَّنـا بصـدد التحـدُّث عـن الطفـل الموهـوب، فسـوف نتنـاول أحـد أهـم المصطلحـات التـي راحـت تُحـدِّد مَـنْ هـو الطفـل الموهـوب، المصطلـح هـو «الموهوبيـة»، وهـو ظهـور الفـرد بين الآخرين بشـكلٍ بـارزٍ، ومتفـوق في الأداء في مجـالٍ أو أكثـر مـن المجـالات التـي ترتبـط بالنشـاط الإنسـاني، بشـرط أن يكـون هـذا المجـال موضـع تقديـر مـن الجماعـة٠

ولمَّـا كان التفـوُّق يرتبـط دائمـاً بمسـتويات الأداء السَّـائدة في جماعـةٍ مُعيَّنـةٍ، فـإنَّ «الموهوبيـة » مفهـوم ثقـافي ونسـبي، أي يختلـف مـن جماعـةٍ إلـي أُخـري، ومـن مرحلـة زمنيـةٍ إلـي مرحلـةٍ أُخـري، وذلـك وفقـاً لاختـلاف مسـتوي التطـوُّر في المجتمـع ومـا يتطلَّبـه التطـوُّر مـن طاقـات شـخصية للإنجـاز وتحقيـق التفـوُّق، ولا شـك أنَّ وجـود هـذا البُعـد الثقـافي كمحـدِّد في تعريفـات «الموهوبيـة»، أو التفـوق جعـل الأمـور تبـدو متباينـة أحيانـاً، والسـبب في هـذا الاختـلاف مرجعـه النسـبية زمانـاً ومكانـاً٠

ومـن التعريفـات الشـهيرة لـ «الموهوبيـة»، مـا ورد في الكتـاب السـنوي للهيئـة الأمريكيـة للتربيَّـة العـام١٩٥٨م، حيـث عرَّفـت الفرد الموهـوب بأنَّـه: « الفـرد الـذي يُبـدي تفوقـاً وتميُّـزاً مسـتمراً في أحـد مجـالات الإنجـاز في الحيـاة الإنسـانيَّة »٠ وهـذا التعريـف لـم يُقصـر مفهـوم « الموهوبيـة » علـي الأداء العقلـي، بـل امتـد ليشـمل الأداء في مختلـف مجـالات النشـاط الإنسـاني كالموسـيقي، وكتابـة القصَّـص، وقـرض الشـعر، والأداء التمثيلـي، والمهـارات اليدويَّـة، والألعـاب الرياضيَّـة، والقيـادة الاجتماعيَّـة، كمـا أنَّ التعريـف يُركـز علـي التفـوُّق باعتبـاره قـدرة وأداء معـاً٠

ومـن ناحيـة أُخـري نجـد تعريفـات «الموهوبيـة» قـد حصـرت المفهـوم في نطـاق ضيـق حيـث ربطتـه بالنجـاح المدرسـي ونظـرت إليـه علـي أنَّـه تفـوُّق في التحصيـل الدراسـي، فأصبـح « الموهـوب » ـــ وفـق هـذا التعريـف ـــ هـو الفـرد الـذي يقـع تحصيليًّـا عنـد مسـتوي أعلـي مـن ٨٥٪ مـن أي مجموعـة عشـوائية مـن أقرانـه في العُمُـر الزمنـي، كمـا إنَّنـا نجـد البعـض قـد نظـر إلـي «الموهوبيـة» مـن منظـور الـذكاء فقـط، فحدَّدهـا بنسـبة الـذكاء التـي تصـل إلـي ١٤٠ فأكثـر.

وهنـاك مَـنْ قـرن بـين نسـبة الـذكاء، والتفـوق التحصيلـي، وبذلـك نُظـر إلـي مصطلـح « الموهوبيـة» ليـس باعتبـاره قـدرة وإمكانيـة بـل كأداء وإنجـاز قـد حُقِّـق فعليًّـا في شـكل تحصيـل

دراسـي؛ فالفـرد المتميِّـز في نسـبة ذكائـه ويعجـز عـن أن يعكـس هـذا الامتيـاز دراسـيًّا لا يُعتبـر موهوبـاً حقـاً، ولكـن فقـط لديـه الاسـتعداد لـ «الموهوبيـة» !!

وتلك التفرقة في النظرة إلي «الموهوبية» قد قسمَّت الباحثين إلي فريقين: فريقٌ يُركِّز علي «الموهوبية » كعمليةٍ Process، وفريقٌ يهتم بها كإنتاجٍ Product٠

و« الموهوبيـة » ظاهـرة شـاملة ومُركَّبـة، وهنـاك جهـود حثيثـة مـن المتخصصـين لإنشـاء مقاييـس لقيـاس جوانبهـا المُتعـدِّدة٠ولا شـك أنَّ التقـدُّم في مجـال بنـاء أدوات لقيـاس القـدرات الابتكاريـة، ووضـع مقاييـس لتقديـر خصائـص الموهوبـين، إلـي جانـب اسـتخدام اختبـارات الـذكاء، سـوف يُسـهم كُلّ هـذا في تحقيـق نظـرة أكثـر شـمولية وتكامـلاً لظاهـرة «الموهوبيـة» باعتبارهـا مفهومـاً شـاملاً ومُتعـدِّد الجوانـب٠

## ● أبحاث العلماء حول مفهوم الطفل الموهوب :

اسـتخدمت عبـارات مختلفـة ومُتعـدِّدة في الدوائـر المهنيـة وغير المهنيـة في الدلالـة علـي الطفـل الموهـوب، منها :النابغـة، المتفـوق، مُتقـد الذكاء٠٠وغيـر ذلـك٠ وكلَّهـا تـدل علـي المقـدرة الفائقـة في مجـالٍ مـا مـع التفـوق العقلـي.

وفي الحقيقة تنسب هذه التعريفات إلي الدراسات العميقة المشهورة التي أُجريت علي الأطفال الموهوبين والتي قام بها العَالِم الأمريكي « لويس ماديسون تيرمان » Lewis Madison Terman (١٨٧٧ ــ ١٩٥٦م) في جامعة « ستانفورد »، وعالمة النفس الأمريكية «ليتا٠س هولينجورث» Leta Stetter Hollingworth (١٨٨٦ ــ ١٩٣٩م) في جامعة «كولومبيا»، وكان العنصر الأساس في اختيار الأطفال للفصول التجريبية في مجموعة « تيرمان » لا تقل عن (١٤٠) ، وذلك باستخدام اختبار الذكاء « ستانفورد ــ بينيه». والقبول في فصول «هولينجورث» للموهوبين يجب أن يحصل الطالب علي نسبة ذكاء لا تقل عن (١٣٠) في اختبار «"ستانفورد ــ بينيه »، وأن يجتاز كذلك اختبارات تقيس النضج الانفعالي، والتوافق الاجتماعي، واللياقة البدنيَّة٠

كما يُستخدم لفظ «موهوب» إلي أقصي حد لكي يُشير إلي قسم صغير من مجموعة الموهوبين الذين لديهم مستوي عالٍ جداً من القدرة، والذين تُمكنهم قواهم الكامنة من الإسهام بنصيبٍ أصيل وفاعل في حضارة ورفاهية مجتمعهم، بل وفي حضارة ورفاهية الأجيال التالية للإنسانيَّة بوجهٍ عام.

ويمكن تصنيف هذه المستويات من الذكاء باستخدام بعض الاختبارات الفرديَّة للذكاء كاختبار « ستانفورد ــ بينيه »، علي النحو التالي:

أوَّلاً: المتفوقون، وهم الحاصلون علي مُعدل ذكاء يتراوح فيما بين (١٢٠ــ ١٢٥)، وهم يمثلون الصفوة الواقعية فيما بين ( ٥٪ ) ، ( ١٠٪ ) من أطفال المدرسة غير المختارين.

ثانياً: الموهوبون، وهم الحاصلون علي مُعدل ذكاء يتراوح فيما بين( ١٣٥ــ ١٤٠)،

وهم يُشكلون ( ١٪ )،( ٣٪ ) من أطفال المدارس العامَّة.

ثالثاً: الموهوبون جدًّا،وهم الحاصلون علي مُعدل ذكاء يتراوح فيما بين (١٧٠ــ ١٨٠ ) بل وأعلي من ذلك، ويبلغ عددهم بين عُشر،و ١٪ من مجموع الموهوبين.

كما صنَّف «دنلاب» Dunlap الأطفال ذوي القدرة العقليَّة العالية إلي: أطفال متفوقين، وأطفال موهوبين، وأطفال موهوبين جدًّا، وهو يُشير هنا إلي مجموعة الأطفال الذين يزيد معدل ذكائهم عن( ١٢٥ ــ ١٣٠ )، حيث يكون لديهم غالباً مُعدل ذكاء فيما بين ( ١٥٠ ــ ١٨٠ ) وأعلي من ذلك أيضاً، ويكون هؤلاء الأطفال فيما بين (٢٪ ) ،( ٧٪ ) من مجموعة الأطفال وهي نسبة أكبر ممَّا كان يتوقع.

وتؤكِّد البحوث الحديثة أنَّ الموهبة ذات صلة وثيقة بالذكاء، وأنَّ أصحاب المواهب أُناس توفرت لهم ظروف بيئية ساعدت

علي إنماء ما لديهم من طاقة عقليَّة، وتمايزها في اتجاه الموهبة، وإنَّ نجاح الفرد يُثير لديه قدراً مناسباً من الدافعية للمثابرة والدأب، وهذا بحد ذاته يُحقِّق للفرد أداءً ممتازاً في المجال الذي برزت موهبته فيه.

والعَالِم «جاكسون»، و «ياماموتو» أكدا أنَّ الطفل الموهوب هو مَنْ يمتاز بقدرات إبتكارية عالية٠فتؤكِّد الدراسات التي أُجريت علي الموهوبين في الفنِّ والموسيقي وفي عمل الاختراعات الميكانيكيَّة، أنَّ أي عمل فذ لابدّ أن ينطوي علي ابتكار، وبالتالي يكون صاحبه علي مستوي عالٍ من القدرة العقليَّة٠وعلي أساس هذا نجد أنَّ الموهبة هي: «القدرة علي الابتكار في تحصيل الفرد في مجالٍ أو أكثر، والقدرة علي الابتكار هذه، إلي جانب مكوناتها العادية كالذكاء، تنتج منها أعمال ذات قيمة عالية تعتمد علي مكونات أُخري ليس من السهل إدراكها ».

وهناك مَنْ يُفضلون الأخذ بمفهومٍ علي جانب أكبر من العمومية، فإنَّهم يستخدمون لفظ «موهوب» لكي يُشيروا إلي أولئك الأطفال الذين يتمتعون بقدرةٍ خاصَّة في الفنِّ أو الموسيقي، أو فيما يتعلَّق بالمهارات الميكانيكيَّة، أو أولئك الذين لديهم قدرات خاصَّة بقيادة الأفراد.

ولقد أورد «وتي» Witty تعريفاً للطفل الموهوب، وهو التعريف الشائع الآن، علي النحو التالي: « إنَّه الطفل الذي يُبدي بشكلٍّ ظاهرٍ قدرة واضحة في جانبٍ ما من جوانب النشاط الإنساني»٠ ويمكن أن نُضيف إلي هذا المفهوم صفات أُخري كالأصالة، والطموح، والباعث الداخلي٠

علي أنَّ هذا لا يعني أنَّ الحائز علي الموهبة، كما يُشير «سترانج» Strang ، يكون في غني عن بذل الجهد، بل إنَّ التأكيد علي توظيف الذكاء يرتفع بمستوي مسؤولية الفرد عن استخدام إمكاناته بأقصي ما لديه من جهدٍ.

وتختلف خصائص وحاجات الأطفال ذوي القدرات الذهنيَّة العالية عن خصائص وحاجات الأطفال الموهوبين في الفنون، والممارسات الآلية، والقيادة، وزعامة الأفراد٠ وقد يكون الطفل موهوباً من حيث الذكاء ولكنَّه يكون محروماً من تلك المواهب الفذة، كما قد يكون ذا مواهب خاصَّة فذة ولكنَّه لا يكون في نفس الوقت خارق الذكاء، علي أنَّ الشخص الموهوب بمواهب خاصَّة غير عادية يكون في حاجةٍ إلي خبرات تستثير تلك القدرات الخاصَّة، فالموهوب بحاجةٍ إذاً إلي فهم واسع ومنوع وخصب.

وهناك مَنْ عرَّف الطفل الموهوب بأنَّه: « الطفل الذُي يُبدي إمكانية إبداعيَّة مستمرة في أحد المناشط الإنسانيَّة القيمة ».

كما عرَّفه آخرون بأنَّه: « مَنْ أوتي طاقة عالية للتعليم حتى أنَّه يستطيع أن يتعلَّم أكثر من المنهج المقرَّر خلال الوقت المقرَّر وتحت الظروف المقرَّرة »٠

أيضاً فالطفل الموهوب، هو: «مَنْ يمتلك قدرة استثنائية، أو استيعاباً فطريًّا غير عادي في مجالٍ أو أكثر من المجالات العقليَّة، والإبداعيَّة، والاجتماعيَّة، والانفعاليَّة، والنفسيَّة».

هذا٠٠وتتدخل فلسفة المُربي بشكلٍ واضح في تعريفه للأطفال الموهوبين، فالموهوبون في نظر الكثير من المُعلِّمين: هم أولئك الأطفال البارزين بسبب ما يؤدونه من واجبات مدرسيَّة بتفوق، وبسبب التزامهم بتنفيذ التعليمات، وبسبب مشاركتهم الجادة في المناقشات التي تدور داخل الفصل الدراسي، وقيامهم بما يُناط من مسؤوليات علي خير وجه.

علي أنَّ بعض المُعلِّمين يرون النبوغ لدي التلاميذ يتجلي في عمق التفكير، والحساسية، والدقة التي تبرز من خلال الأسئلة التي يوجهونها إليهم٠